برهوم

١٠

بَرهُومْ في ضِيافةِ الجِنّ

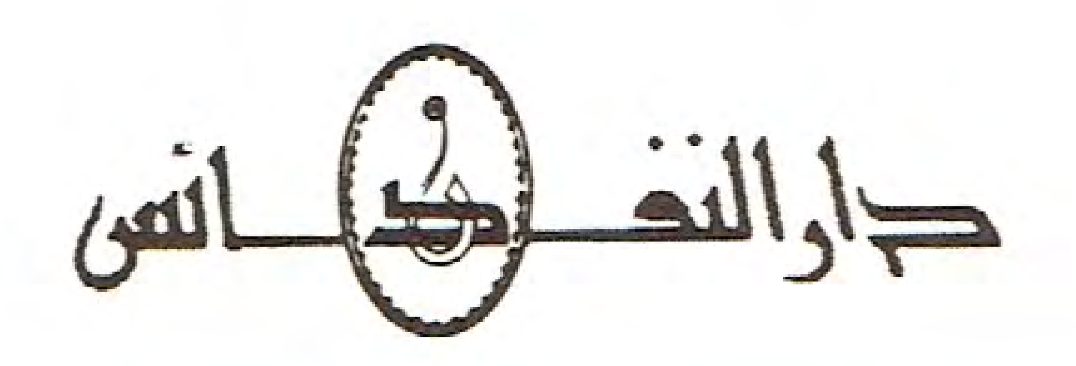
دار النفائس



بَرهُومْ في ضِيَافةِ الجنّ

قصة : محمد عبد الحميد الطرزي

رسوم : محمد طارق العسيلي



مُلخص ما نُشِر في السَابق :

برهوم إنسان حاد الذكاء ، كثير المرح ، شديد الوفاء . تسبّب في شجّ رأس جني صغير ، مما أثار والده « قطامش » ، فسجن برهوماً في زجاجة ورماه في قاع بحر الظلمات ، وهناك وجد بجانبه زجاجة سُجن فيها منذ زمن النبي سليمان مارد يدعى « حبظلم » فتصادقا ثم اختلفا ، وبقيا على تلك الحال حتى ابتلع حوت ضخم زجاجة برهوم وتسبب في وصولها إلى قصر ملكة اللؤلؤ ، فعرضت عليه الزواج منها فأبى وفاءً لزوجته ، ولكنها أصرّت على موقفها وعاقبته بسجنه مع أحدب غريب ، ثم هددته بحبظلم الذي ظهر من جديد في مملكة اللؤلؤ . ولكن الثلاثة تعاهدوا على الوفاء ووضعوا خطة للتخلص من سجن الملكة الظالمة ، فكانت مكيدتها أكبر ، وساعدتها ساحرتها على إعادة زجاجة حبظلم الى قاع البحر من جديد . فهرب برهوم والأحدب الذي أصبح أميراً جميلاً بعدما استعاد صورته الأصلية . . . وبعدما وصلا الى مملكة الأمير انطلقا فوراً في رحلة قاسية الى وادي الأفاعي يفتشان عن ساحره عساه يساعدهما في استعادة « حبظلم » وفك أسره وفاء منهما لصديق أسلم على أيديهما .

وفي وادي الأفاعي ، تعرض برهوم ورفيقاه للموت في بطون الأفاعي مرات عديدة ، وفي إحدى المرات هاجمتهم عدة أفاعي ، فهرب كل واحد منهم الى مغارة ليختبىء فيها ؛ فضاع برهوم عن صديقه ودليل رحلته . وبينما هو يفكر بطريقة للخلاص من هذه الورطة ، إذا به يتعرض لورطة أخرى ، فقد تشاجر مع جنيّ غليظ ، لم يخلصه منه إلا ظهور أميرة الجن « سنا » ، التي استضافته وأكرمته للاستمتاع بقصصه ومغامراته .

أعجبت الأميرة بحكايات « برهوم » لدرجة أنها روتها لوالدها وأسرتها ، فحضر الملك والملكة إلى مجلس « برهوم » . وأخذوا يستمعون الى قصة الملكة « نورهان » .

الملك الحزين

هب من مكانه وتقدم من الغرفة وفتح بابها دفعة واحدة ، فوقع بصره على المربية « ريحانة » تحمل طفلاً يبكي . فسألها بلهجة صارمة :

- من الطفل . . .؟ وما الذي أتى به إلى هنا . . . مدت يديها بالطفل نحوه بعد أن كف فجأة عن البكاء . . . وقالت بصوت تخنقه العبرات :

- إنه ولدك يا سيدي . . .

تراجع الملك مذعوراً وهو يرمق الطفل المسكين بنظرات مجنونة حاقدة . . . ثم قال للمربية :

- ولدي . . .؟ ولدي أنا . . .؟ كيف . . .؟ كيف يبقى هو وتذهب هي . . .؟ لا . . . لا تقربيه مني . . . إنه ملعون إنه منحوس . . . لا تدعي بصري يقع عليه وإلا أمرت بقتله حالاً . . . إذهبي به من هنا . . . لا . . . لا أريد أن أراه أو أسمع صوته .

ضمت ريحانة الطفل وكأنها تدفع عنه خطراً داهماً وقالت بشجاعة :

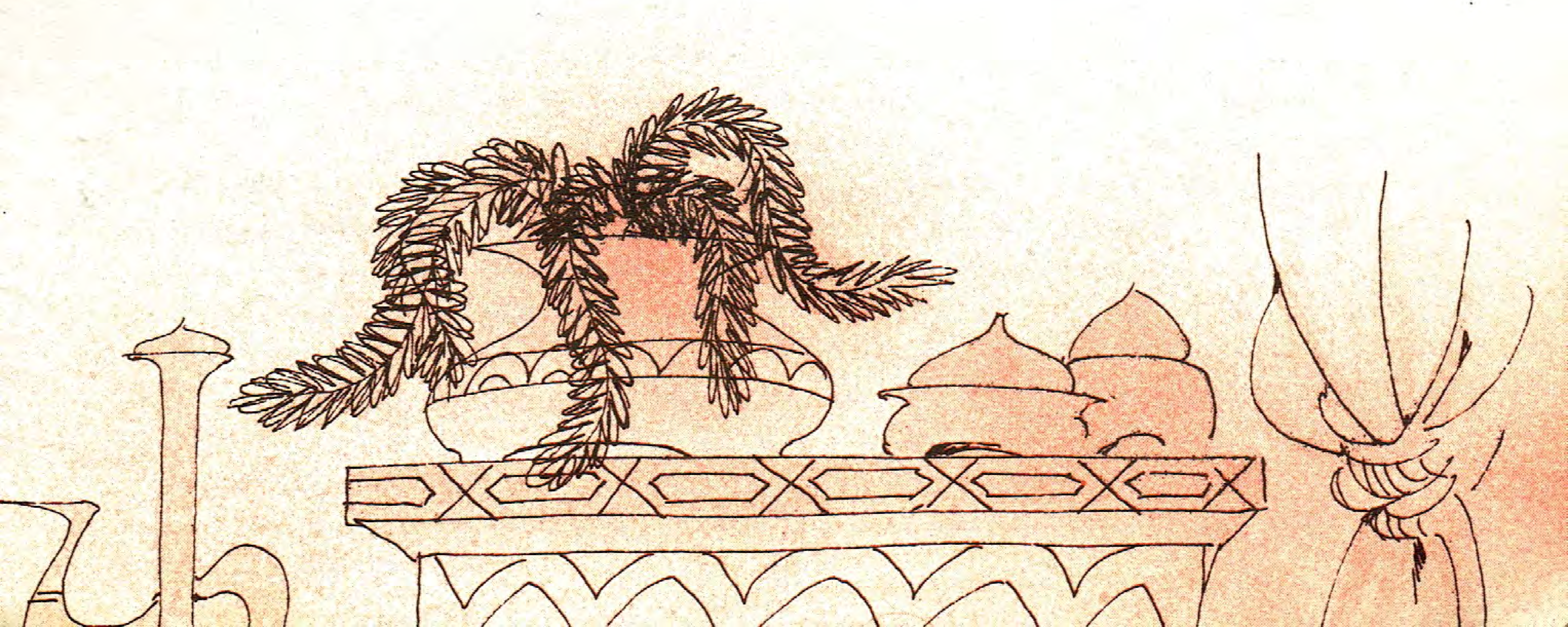
إستغفر ربك يا مولاي . . . ما ذنب الطفل المسكين حتى تحرمه من عطفك ؟!.

قال الملك :

قلت إذهبي به حالاً . . .

قالت بصوت مرتعد :

ولكن لا تنسى أنه جزء من الراحلة الغالية . . .



اتقدت نظرات الملك واحمرت مقلتاه ثم قال بغضب عاصفٍ :

ـ إذهبي به من هنا . . . إذهبي به إلى أي مكان ولكن لا تـدعيني أراه . . . أقسم أن آمر بقتله وقتلك لو فكرت مرة واحدة بالحضور به إلى هنا . . .

هرولت ريحانة من أمامه مذعورة . وعندما غادرت الحجرة اصطدمت بقائد الجيش الذي تأمل ذعرها بدهشة واستغراب فسألها بلهفة :

ـ ريحانة . . . ماذا بك تهرولين كأنك في سباق مع الشيطان . . . ؟

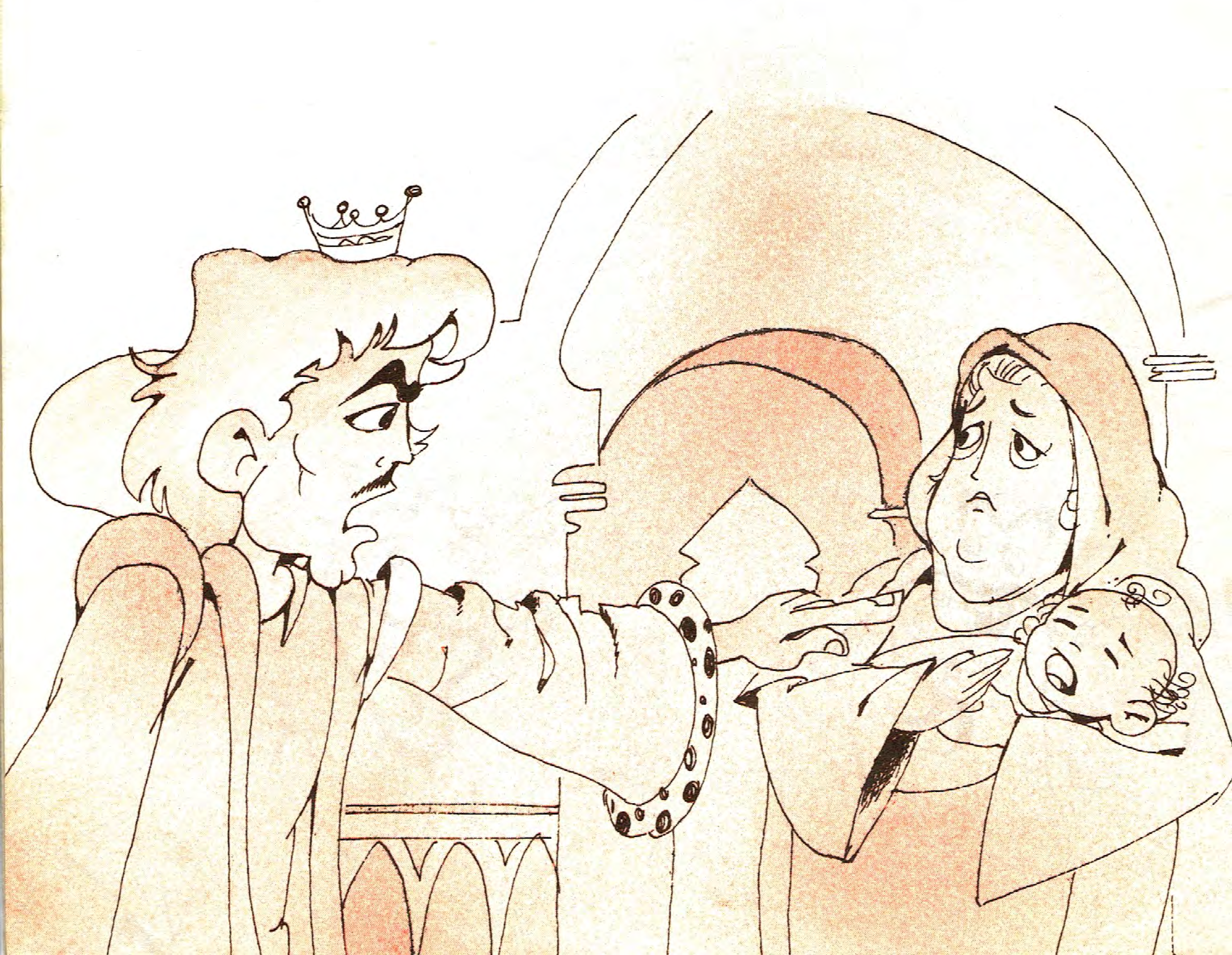
أشارت إلى غرفة الملك برعب وخوف وقالت :

ـ إن الملك طردني يا سيدي . . .

قال بدهشة ماذا تقولين ؟

تابعت ريحانة :

أمر أن أعيش مع الطفل في مكان بعيد لا يقع بصره عليه . . .



أجابها بدهشة :

ـ وماذا أيضاً أكملي يا ريحانة . . . ؟

قالت ريحانة بخوف :

ـ لقد هدد بقتله وقتلي إن سمع صوته مرة أخرى . . .

وعندما وصل برهوم إلى هذه النقطة ، توقف عن الكلام . وطلب الطعام . . .

كانت الشمس قد أشرفت على المغيب ، وأثر الجوع في الجميع ، فاتفقوا على العودة للاستماع بعد العشاء .

جلس « برهوم » في مكانه المعتاد ينتظر وصول الأميرين ، وجلس معه « سفروت » الذي بدأ يبالغ في العناية ببرهوم بعد أن توثقت عرى الصداقة بينهما . .

قال برهوم فجأة :

ـ سفروت . . صارحني بالحقيقة ولا تخفي عني شيئاً مما سأسألك عنه .

أجابه سفروت بحماس :

ـ سل ما يحلو لك يا برهوم . . سأجيبك صادقاً على كل أسئلتك . .

خفض برهوم صوته وقال :

ـ هل يمكنك إرسال رسول إلى أي مكان من الأرض . .





ابتسم سفروت وقال ببساطة :

ـ طبعاً . . إنه أمر هيّن يسير ولا يحتاج تنفيذه إلا دقائق قليلة . .

ظهر الفرح على وجه برهوم وقال :

ـ ترى لو طلبت منك أن تؤدي لي خدمة فهل تؤديها ؟

أجابه « سفروت » دون تردد وبصراحة لا شك فيها :

ـ يسعدني طبعاً أن أؤدي لك أية خدمة بشرط أن يكون مطلبك غير محرم أو محظور عليَّ فعله .

سأله برهوم بدهشة :

ـ وهل هناك المسموح والمحظور في خدمة تؤديها لصديق . .

أجابه « سفروت » :

ـ نعم يا برهوم . . بعض المهام لا أستطيع القيام بها مع سهولتها ويسرها .

قال برهوم :

ـ مثل ماذا ؟

ابتسم سفروت وقال :

ـ مثلاً . . لو طلبت مني إطلاق سراحك اللحظة وحملك إلى بلادك . . إنه كما ترى أمر بسيط ومع ذلك لا يمكنني الإقدام عليه . .

ازداد برهوم فضولاً فتابع أسئلته قائلاً :

- دعك من هذا الأمر فإن كان هذا ما تخشاه فاطمئن بالاً ؛ لن أطلب منك شيئاً من هذا فأنا مسرور في ضيافتكم .

تهلل وجه « سفروت » وقال :

- إذن ، أطلب ما تريد ، وسترى كيف سأنفذ لك كل طلباتك في لمح البصر .

تنهد برهوم بارتياح كبير وقال :

- شكراً لك يا سفروت . . الآن اطمأن خاطري . . وسكت . . . فسأله سفروت :

- ولكنك لم تطلب أي شيء . . .

ضحك برهوم وقال :

- في الوقت الحاضر لا مطلب لي ، ولكن ربما طلبت منك شيئاً في وقت آخر . .

قطع عليهما الحديث دخول موكب الأمير مشارق ، ولم يكن وحده هذه المرة بل كان مع والده وعمه . . فقال سفروت بصوت منخفض :

- جاء الملك . . أبشر بالخير يا برهوم . .

هب برهوم يستقبلهم باحترام وإجلال . . وما إن اتخذوا أماكنهم حتى ظهر موكب الأميرة سنا وبدورها لم تكن وحدها بل صحبتها الملكة والدة الأمير مشارق وأمها . .

ومرة أخرى نهض برهوم يبالغ في الترحيب بهن مما أثلج صدر الأميرة الصغيرة فتقدمت منه وقالت :

- برهوم . . لقد تكرم والدي العظيم الملك « شعشاع » بالحضور للمشاركة في سماع القصة الجميلة . .

انحنى برهوم حتى كاد يمس الأرض بجبهته وقال :

- إنه لشرف عظيم غمرني به . . مولاي وضيوفه . . ولكن ، وحتى يساير مولاي مجريات القصة ، فسألخص لكم ما فاتكم سماعه . .

ضحك الملك وقال :

- لا حاجة لذلك يا برهوم فقد قصت علينا الأميرة « سنا » ، حرفاً بحرف ، وكلمة بكلمة ، كل ما فاتنا سماعه .



اتسعت ابتسامة برهومْ وتساءل في قرارة نفسه مهنئاً . . هل أصبح مهماً لدرجة أن الأميرة تعيد قصته على مسامع الملك . . ثم أصلح جلسته ، وقال :

ـ إن سمحتم لي بدأت الحديث .

ولما أشاروا إليه بالموافقة بدأ الكلام فقال :

ـ توقف بنا الحديث عندما هربت ريحانة من القصر ، ومعها الطفل المسكين . أما الملك الحزين فقد اعتكف في مقره وانقطع عن مقابلة أي إنسان ، واستسلم للذكريات والأحزان . . فساءت حالته وهزل بدنه القوي بعد أن زهد في الطعام ، أملاً في الموت جوعاً ليلحق بزوجته وولده في الدار الآخرة .

شغلت حال الملك بال رعيته ولكنهم لم يستطيعوا فعل شيء . ووصلت إلى البلاد أخبار طاغية يكتسح الأقطار المجاورة ، فسارع كبير الوزراء إلى عقد اجتماع عام للأمراء والأعيان وكبار قادة الجيش لتدارس الموقف ، واتخاذ القرار المناسب لمواجهة الظروف ، قال كبير الوزراء مفتتحاً المجلس :

ـ لقد استدعيتكم لمناقشة أخبار الخطر القريب ، فأنتم ممثلوا الشعب بكامل طبقاته ، وعليكم اتخاذ القرار فيما يجب فعله تجاه العدو الذي أصبح على الأبواب . ولتقرروا الموقف المناسب تجاه ملكنا المفدى . والبطل الذي يجب أن

يكون على رأس الجيش في هذه المناسبة ، فأنتم تعرفون حاله وأحزانه . وتعلمون عدله وقوته وحسن قيادته . .

***

ناقشوا الأمر من كل جوانبه ، وعرضوا أفكاراً كثيرة ، وتجادلوا فيها فاختلفوا في بعضها واتفقوا في أخرى . وأخيراً وقف أحد حكماء المجتمعين وقال :

- إن لي رأياً أرجو أن تستمعوا إليه ، وتعيروه اهتمامكم . هناك قول مأثور يقول : « وداوني بالتي كانت هي الداء » . وبمعنى أوضح . . إن الفراغ الذي يعيش فيه الملك بعد رحيل الملكة لن يملأه إلا زواج جديد يساعده على نسيان أحزانه .

أصغى إليه الحضور ذاهلين واجمين . . ووافقه بعضهم على أن علاج الملك فيما يقول ، ولكن الخوف استولى على بعضهم الآخر . . من يجرؤ على مفاتحة الملك بحديث كهذا . . إن مجرد ذكر الزواج ليجدد أحزان الملك ويذكره بعروسه الراحلة إن كان قد نسي شيئاً من ذكراها .

ولكن كبير الوزراء أدهش الجانبين عندما قال :

- لقد عرفت الداء وشخصت الدواء أيها الشيخ الجليل . . فنعم الرأي ما قلت .

سأله أحد الوجهاء :

- ولكن من يستطيع مواجهة الملك بمثل هذا الرأي ؟

أجابه قائد الجيش :

- دعوا الأمر لي فسأتولاه عنكم . . والله الموفق . .

ولما شكك أحد الأمراء بجدوى ذلك ، تابع قائد الجيش قائلاً :

- سيكون سلاحي في إقناعه المحافظة على الوطن . . كلكم يعلم حب الملك لبلاده وشعبه ومدى تفانيه في الدفاع عن البلاد . ومتى عرف بأمر التتار والخطر الذي يتهدد الوطن لن يتردد لحظة في التجاوب مع مطالبنا .

تعالت صيحات الإعجاب من كل ناحية ، فقال كبير الوزراء :

- وسأكون معك جنباً إلى جنب في هذه المقابلة . . لقد خطر لي الآن فكرة أعتقد أن فيها السداد والخلاص . . إن الزوجة المناسبة لمولانا الملك حاضرة معروفة من قبلي ، وبزواجه منها سنضرب عدة عصافير بحجر واحد . . إنها الزوجة الجميلة والجيش القوي الحليف . .

استُقبلت كلمات كبير الوزراء بالترحاب والاعجاب الذي استقبلت به كلمات قائد الجيش فلم يفلت كبير الوزراء الفرصة السانحة فأشار لقائد الجيش كي يتبعه واتجه رأساً إلى جناح الملك . . اعترض طريقهما كبير الحجاب قائلاً :

ـ سيدي كبير الوزراء . . سيدي القائد المبجل . . أرجوكما ارجعا من حيث أتيتما فلا أمل في مقابلة مولاي الملك . . لقد أقسم أن يأمر بضرب عنقي لو سمحت لأي مخلوق كان بالدخول عليه في خلوته . .

أجابه القائد الذي أعد العدة لهذا الاعتراض مسبقاً ، فصحب معه بعض ضباطه :

ـ نعلم بأمر هذا القسم أيها الحاجب . . وسنجنبك أية مسؤولية .

والتفت إلى بعض الضباط الذين يرافقوه وقال بلهجة آمرة :

ـ اقبضوا عليه وأبقوه تحت حراستكم حتى نخرج من عند الملك . .

وبسرعة البرق أمسكوا بالحاجب المشدوه وأدخلوه غرفة جانبية ، وبذلك أصبح الطريق خالياً أمامهما . فأسرعا بالدخول إلى حجرة الملك بعدما قرعا بابها ، لم ينتظرا الأمر بالدخول ، بل دخلا الغرفة مسرعين ليجدا الملك منتصباً



أمامهما وأمارات الغضب الشديد مرتسمة على وجهه .

نظر إليهما وصرخ غاضباً :

ـ من أذن لكما بإزعاجي وإفساد خلوتي على هذه الصورة . . أخرجا من هنا فوراً ، فلا أريد رؤ يتكما .

وأسرع إلى الجرس يجذبه بعنف مستدعياً حراسه . . ولكن القائد الرزين تقدم منه بشجاعة وحياه باحترام وقال :

ـ مولاي الملك . . ما دفعنا إلى هذا إلا الخطر الداهم الذي تتعرض له البلاد . .

تلاشت أمارات الغضب عن وجه الملك وحلت مكانها علامات الذعر والقلق ، وسأل بلهفة :



ـ أي خطر هذا الذي دفعكما لمخالفة أوامري ، واقتحام غرفتي ؟

أجابه القائد :

ـ إن العدو على أبواب الوطن ويجب الإسراع في الاستعداد للقائه قبل فوات الأوان . .

رفع الملك حاجبيه بدهشة وقال :

ـ ماذا تقول أيها القائد ؟ . . الوطن مهدد ، وتكتمون الأمر عني لتفاجئوني به على هذه الصورة ! ثم من يجرؤ على الاعتداء علينا ؟

أجابه القائد دون خوف أو وجل :

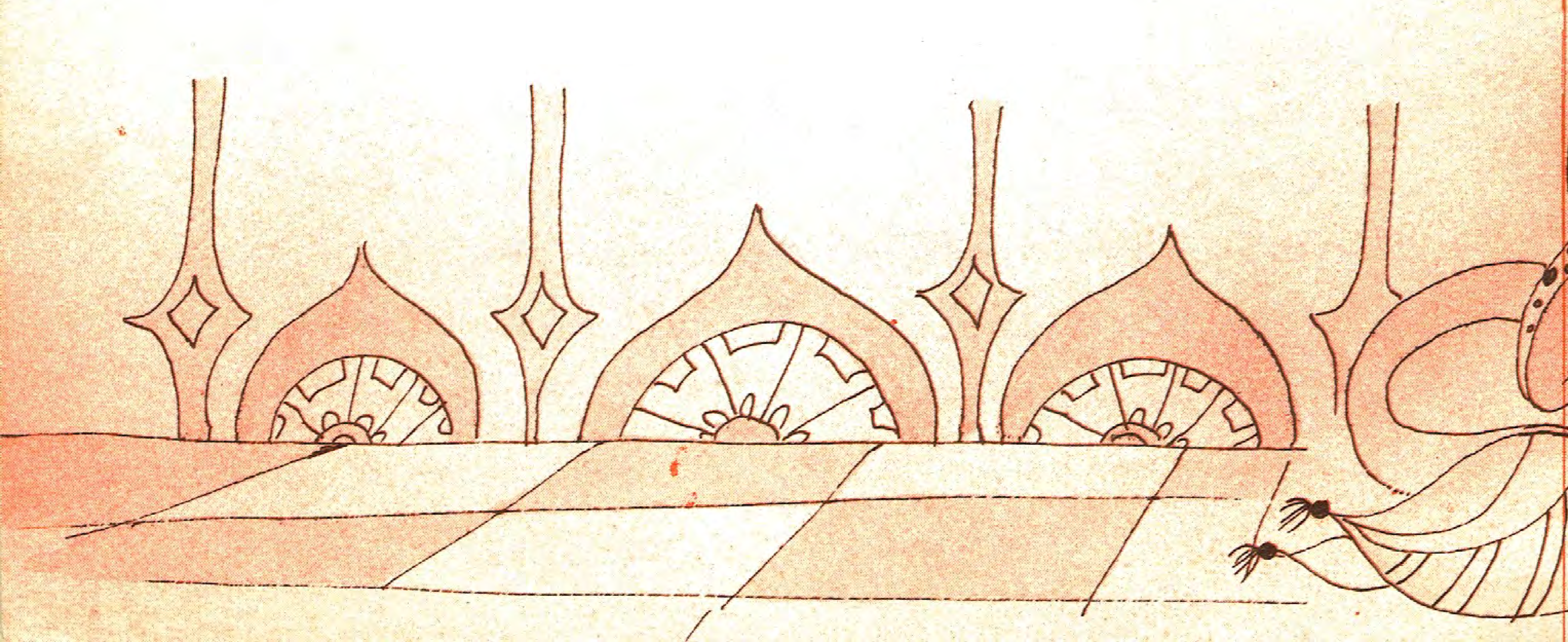
ـ حاولت يا مولاي ولكن حيل بيني وبينكم بأمرٍ من جلالتكم . إن المغول بجحافلهم المنتشرة كالجراد يجتاحون الأقطار كالإعصار ناشرين الموت والخراب في كل بلد يمرون به . . هتكوا الأعراض وسبوا النساء ونكلوا بالشيوخ والأطفال . .

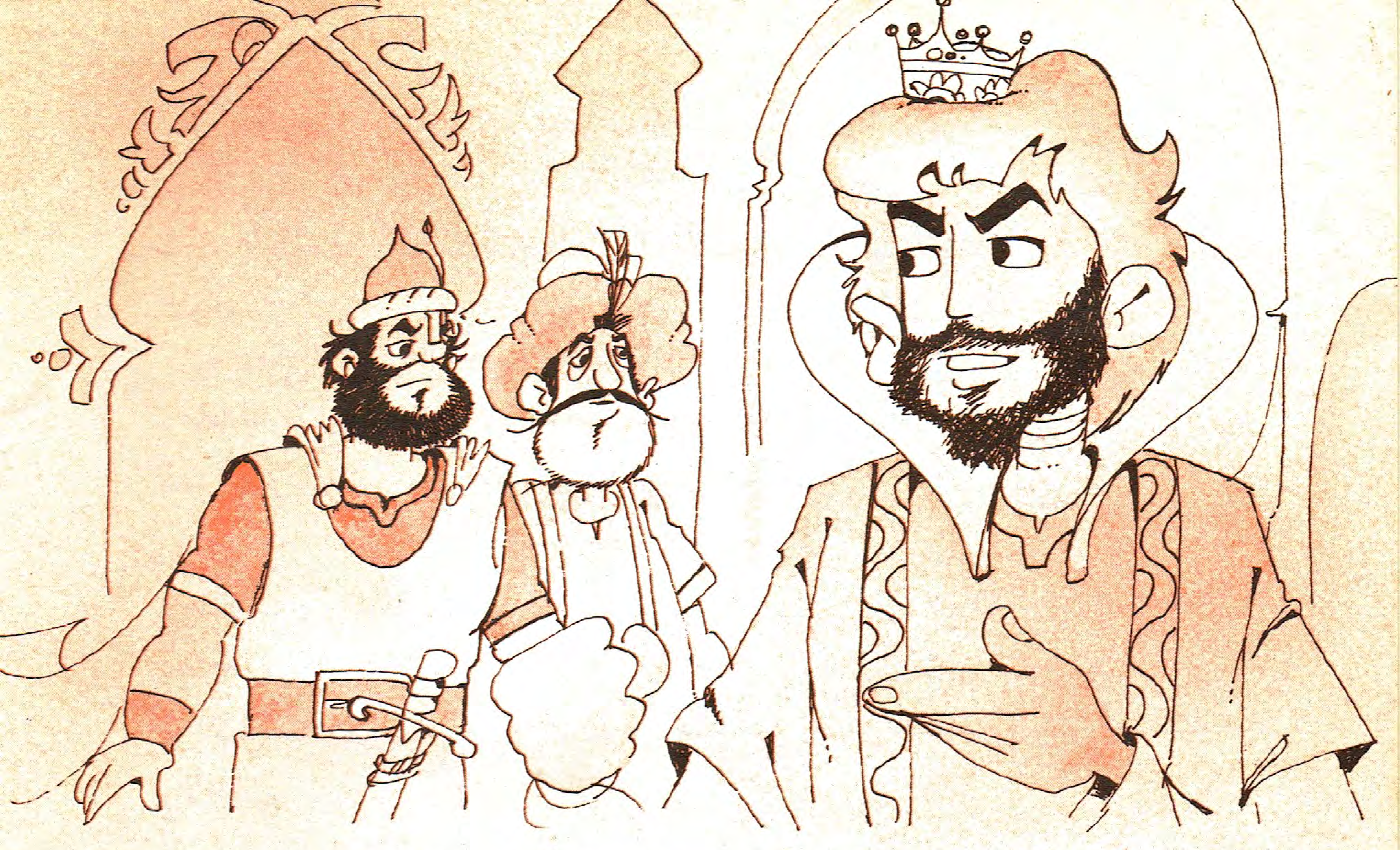
صرخ الملك بغضب :

ـ كفى أيها القائد . . لا أريد سماع المزيد . . والتفت الملك إلى كبير وزرائه وأعطى أوامره قائلاً :

ـ أعلن الجهاد ، واستنفر الناس ، وليستعد الجيش فسنخرج للقائهم . . ونكون نحن السد الذي يتحطم عليه هجومهم البربري .

تهلل وجه القائد فرحاً . . إنه يرى مليكه الشجاع كسابق عهده : قوياً ، مقداماً وكأنه لم يغرق نفسه في الأحزان عاماً كاملاً . ومع ذلك أراد أن يتأكد من أن





الملك قد ثاب إلى رشده وترك الحزن إلى الأبد ملبياً داعي الواجب فقال :

ـ مولاي . . إن جيشك العظيم دون قائده البطل سيغدو كالجسد القوي بلا روح .

تحسس الملك ذقنه الطويلة وقال بحزم :

ـ غداً سيكون لقائي معكم في الديوان الملكي لنتدارس الأمر . .

تقدم كبير الوزراء وانحنى أمامه باحترام وقال :

ـ مولاي الملك المعظم . . إذا وضعنا في اعتبارنا قوة عدونا وتفوقه العددي فإننا نحتاج إلى حليف قوي يشد من أزرنا .

قطب الملك حاجبيه وقال بحدة :

ـ ماذا أسمع ؟ إن جيشنا قادر على سحق العدو وتدميره تدميراً كاملاً .

أجابه كبير الوزراء :

ـ إن جيش مولاي يتمتع بقوة كبيرة وإيمان راسخ وقيادة حكيمة ولكننا نواجه قوة لا عهد لنا بمثلها ،فلو تضاعفت قوتنا بجيش قوي لا يقل بأساً عن جيش مولاي لأصبح النصر حليفنا بعون الله .

وسكت برهة ثم قال بصوت واثق :

ـ والفرصة الآن متاحة لنا لتحقيق ذلك إذا وافق مولاي على الزواج .

صعق الملك من كلام كبير وزرائه ، وعاوده الغضب والحزن ، ولكن كبير الوزراء ، بقي صامداً كالطود ، يدافع عن وجهة نظره وساعده في ذلك قائد الجيش ، مما جعل الملك يطلب إليهم الانصراف ليفكر في الأمر .

انسحبا من حضرة الملك فرحين بنجاحهما في مهمتهما . . وبعدما أصبحا وحدهما ، التفت قائد الجيش إلى كبير الوزراء متسائلاً :

ـ لا شك أن في ذهن سيدي كبير الوزراء امرأة معينة تليق بالملك ، وارتباطه بها يؤمن لجيشه القوة ، ولنفسه الاطمئنان .

فأجابه كبير الوزراء :

نعم هناك امرأة معينة ، لا تسألني عنها الآن . ستعرفها غداً أثناء الاجتماع .

***

كان الوزراء والأمراء وكبار القادة والأعيان ينتظرون خروج كبير الوزراء وقائد الجيش من حضرة الملك بلهفة وشوق ، وما إن دخلا قاعة الاجتماع حتى وقف الجميع وفي عيونهم نظرات التلهف لسماع أخبار المقابلة ، فسارع كبير الوزراء إلى تطمين الحضور بقوله :

ـ نحمد الله الذي وفقنا في مهمتنا الصعبة . . لقد تناسى الملك أحزانه ، وطرحها خلفه ملبياً نداء الوطن . .

تعالى الهتاف بحياة الملك ، ورددت صداه جدران القصر حتى بلغت مسامع الملك في جناحه البعيد . . إنه الشعب يناديه ويهتف باسمه بينما هو غارق حتى قمة رأسه في أحزانه وشجونه ، فساءل نفسه . . أيحق له وهو الملك أن يهمل أقدس واجباته . . ؟ وتألم لإهماله شعبه وجيشه سنة كاملة دون أن يفكر في احتمال خطر يدهم الوطن فجأة كما حدث الآن . .

هب من مكانه وأمر بالحمام بين فرحة الخدم والعبيد ، حتى حاجبه السجين الذي سمع صوت اللغط وفهم بعض الكلمات ، أثلج صدره وفرح بزوال الغمة وعودة الحياة إلى القصر الذي لم يعرف الحزن قبل وفاة الملكة .

غـادر الملك جناحه في أبهى حلة ، وأمر بالطعام ولم ينس السؤال عن الحاجب . فانطلق أكثر من واحد يبحثون عنه في أرجاء القصر حتى عثر عليه أحدهم وفك أسره . .

أنسته فرحته كل ما تعرض له وفضل أن يكتم الأمر ولا يذيعه . فقد كان على كبير الوزراء والقائد أن يقابلا الملك ولم يكن أمامهما غير هذه الطريقة غير الودية .

ولحق بالملك وهو يتناول طعامه ، وهنأه بزوال الغمة ، ووقف بين يديه يقوم على خدمته حتى فرغ من تناول طعامه ، وغادر القاعة إلى مجلسه الخاص ، وأرسل في طلب كبير الوزراء وقائد الجيش .

جلس على مقعد كبير ، ورفع بصره إلى صورة الملكة المعلقة على الجدار أمامه وركز نظره عليها ، وتتالت في ذهنه الخواطر . وخيل إليه أنها تناجيه وتقول له :

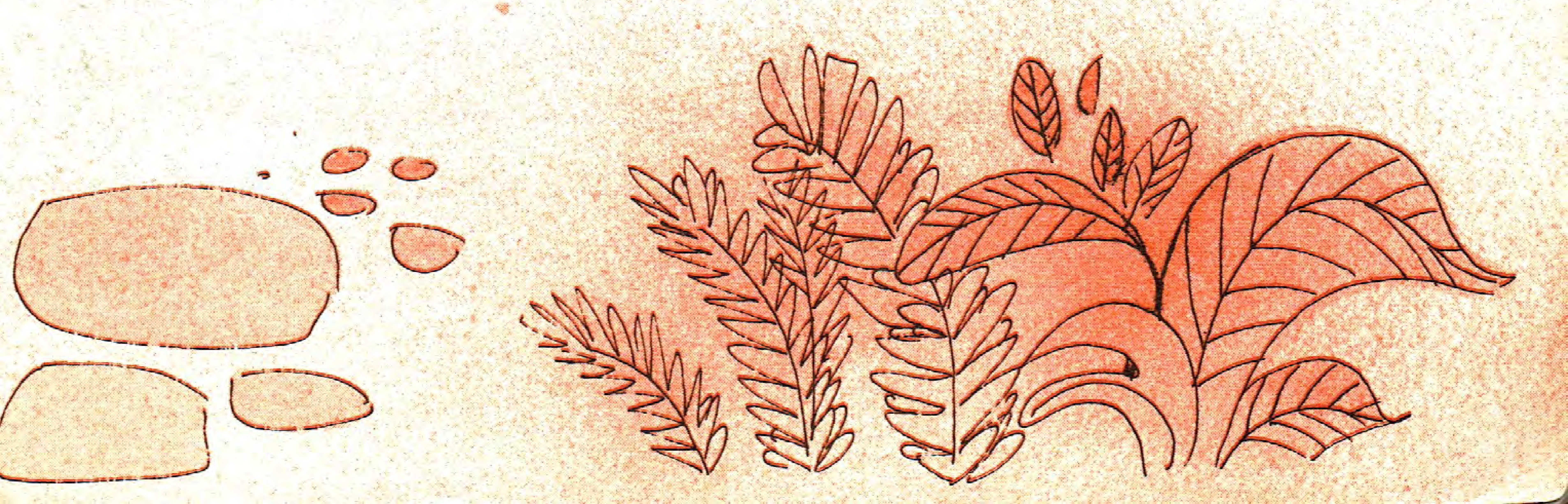
ـ إذا مت قبلك ، دون أن أنجب لك وريثاً فيتحتم عليك أن تتزوج . .

ويهز الملك رأسه وكأنه يحاول طرد خاطر يؤرقه ، ولكن هاتفاً من أعماقه كان أقوى من محاولته تبرير ما هو مقدم عليه من زواج بأخرى مخلاً بعهده لها . . ما عذره . . ؟ ألم تنجب له مظلوم . . ؟ مظلوم الذي سمع باسمه من أحد خدمه . . وحيده منها الذي حرمه من حنانه وحبه ورعايته دون ذنب جناه . . ؟

ولكن سرعان ما عاودته الفكرة التي سيطرت عليه منذ وفاة زوجه :

ألم يكن ذلك الولد سبب موت أمه ؟

. . كيف يقبل بأن يكون وريثاً لعرشه من كان مثل هذا الولد مشؤوماً منحوساً



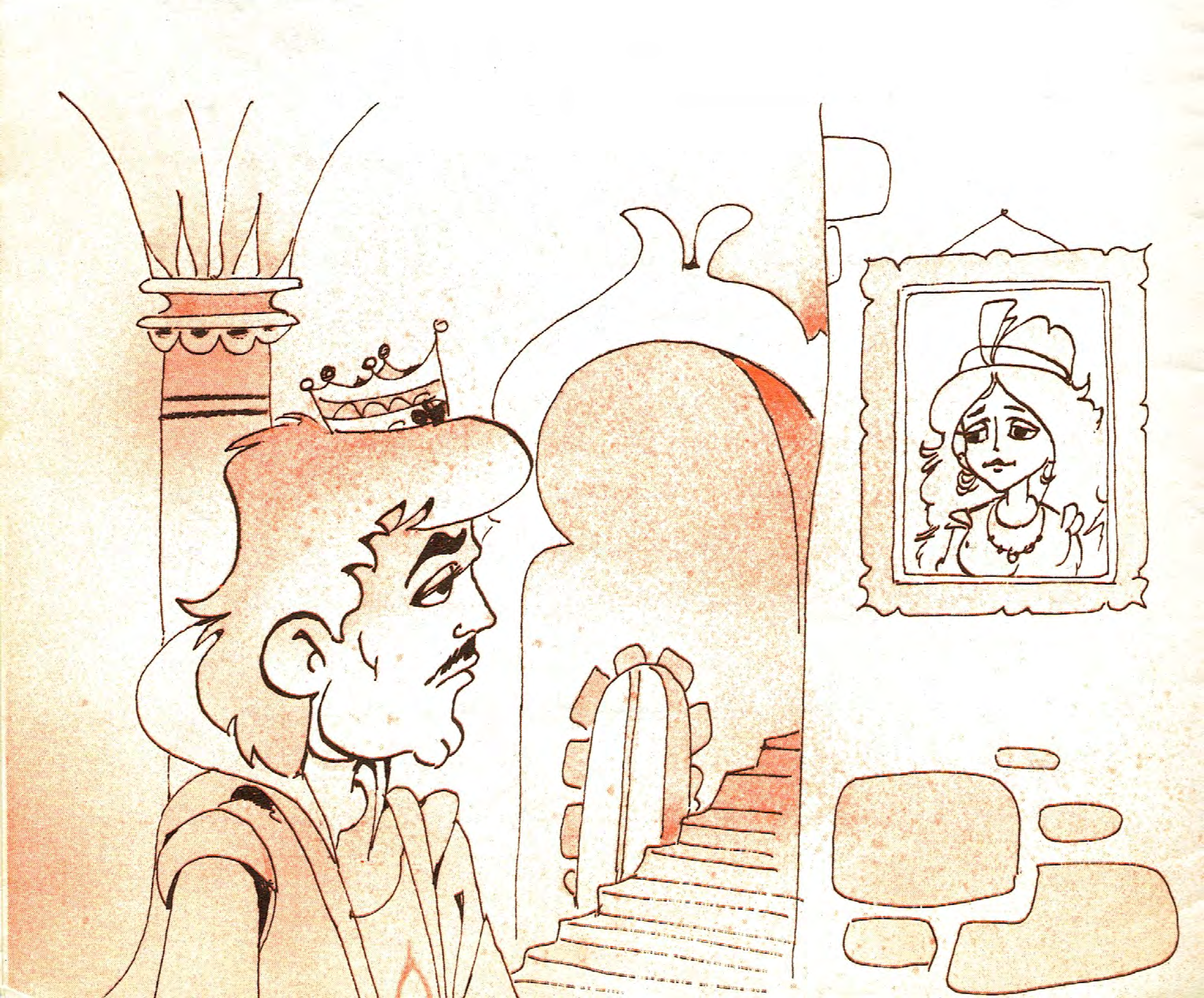
ومرة أخرى خيّل إليه أن الصورة تقول له شيئاً .. نعم .. إنه يرى في عينيها نظرة حزينة كلها عتاب ورجاء .. هب من مكانه هرباً من تلك النظرة وأسرع إلى الشرفة يستنشق الهواء البارد ملء رئتيه علّه يطفىء ذلك اللهيب الذي استقر في داخله ..

وأنقذه من هواجسه دخول الحاجب يستأذن لكبير الوزراء وقائد الجيش، فأسرع مبتهجاً يقول له :

ـ أدخلهما على الفور ..

استقبلهما بجنان ثابت وقال بهدوء :

ـ لقد وافقت على اقتراحكما .. بقي علينا اختيار العروس المناسبة التي تتوافر فيها الصفات المطلوبة .



أجابه رئيس الوزراء :

- لقد فكرت في الأمر يا مولاي وأعتقد أن الله وفقني لاختيار هذه العروس ، العريقة في حسبها ونسبها ، وما على مولاي إلا إصدار أوامره لأسرع في طلب يدها من والدها العظيم . .

أدهشت إجابته الملك وتساءل :

- تبدو أنك لم تغفل عن شيء أيها الشيخ الحكيم . . ترى من يكون هذا الوالد العظيم الذي وقع اختيارك على ابنته لتصبح مليكتك . .

أجابه موضحاً :

- إنها الأميرة « ورد شاه » وحيدة الملك « نادر شاه » ملك مملكة النهرين المجاورة . إنها ضالتنا يا مولاي ، ففضلاً عن جمالها وصغر سنها فوالدها ملك قوي يقود جيشاً قوياً .

أثنى القائد على اقتراح كبير الوزراء وقال :

- نِعمَ الاختيار اختيار سيدي كبير الوزراء ، فجيش الملك « نادر شاه » هو خير حليف لنا . فهو جيش قوي حسن الإعداد والتدريب . .

أجابهما الملك بعد برهة :

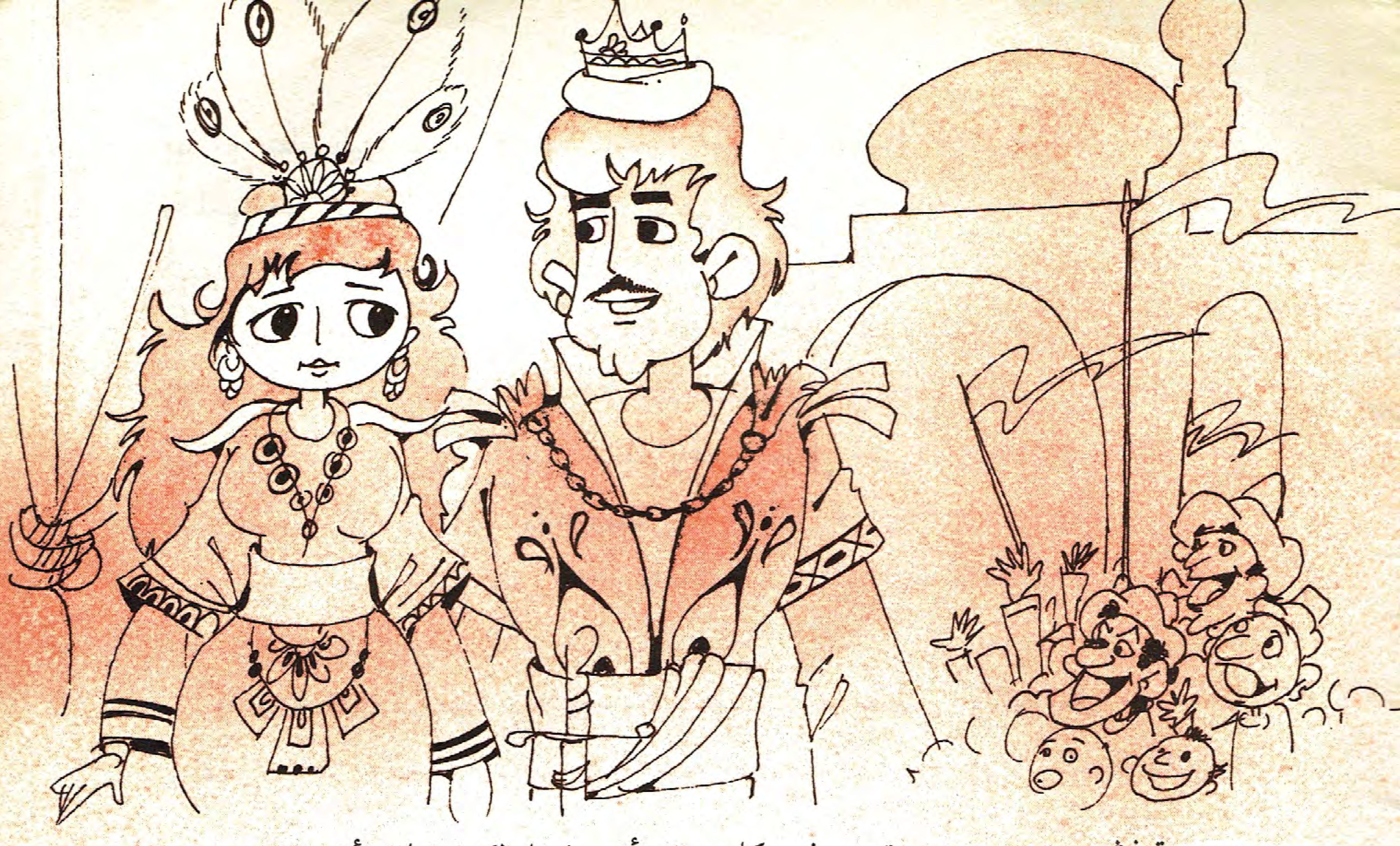
- الخيرة فيما اختاره الله . . أرسلوا الهدايا إلى الملك « نادر شاه » وليكن كبير الوزراء وقائد جيوشنا على رأس الوفد الذي يطلب لنا يد ابنته . .

***

شاع خبر الوفد وانتشر في كل ركن من أركان المملكة ، وعمّ الجميع الفرح لعدة أسباب : منها عودة الملك لمباشرة أعماله ، وزواجه الجديد وما يرجى من ورائه من هناء يعوض الملك المسكين ما مر به . .

سافر الوفد مثقلاً بالهدايا الثمينة وكللت مهمته بالنجاح وعاد حاملاً البشرى السعيدة . .

وفي حفل باهر تم عقد الزواج الميمون وزفت الأميرة الجميلة « ورد شاه » إلى الملك ، فأنسته أحزانه وعاش معها في أرغد عيش سوى أمرٍ واحد ظل بينهما كالحاجز المنيع . . إنه ولده مظلوم . . كانت وقبل أن تنجب أول أولادها الأمير



حسن تخشى من وجوده وتصر في كل مرة يأتي فيها ذكره على أن يبقى حيث هو . .

وبعد أن أنجبت الأمير حسن ثم أتبعته بالأمير محسن اطمأن خاطرها وأمنت على مستقبل ولديها . . فقد اتفقت مع والدها الملك «نادر شاه» وزوجها الملك بسمان . . على أن يكون عرش بلاد النهرين من نصيب ولدها حسن بينما يرث محسن عرش الملك بسمان . .

أما المربية العجوز « ريحانة » فكانت ترعى الأمير « مظلوم » بحب وحنان حتى اشتد عوده ، وبدأت أمارات القوة والذكاء تظهر عليه ، مما كان يسر ريحانة ويجعلها تأمل له بمستقبل باهر .

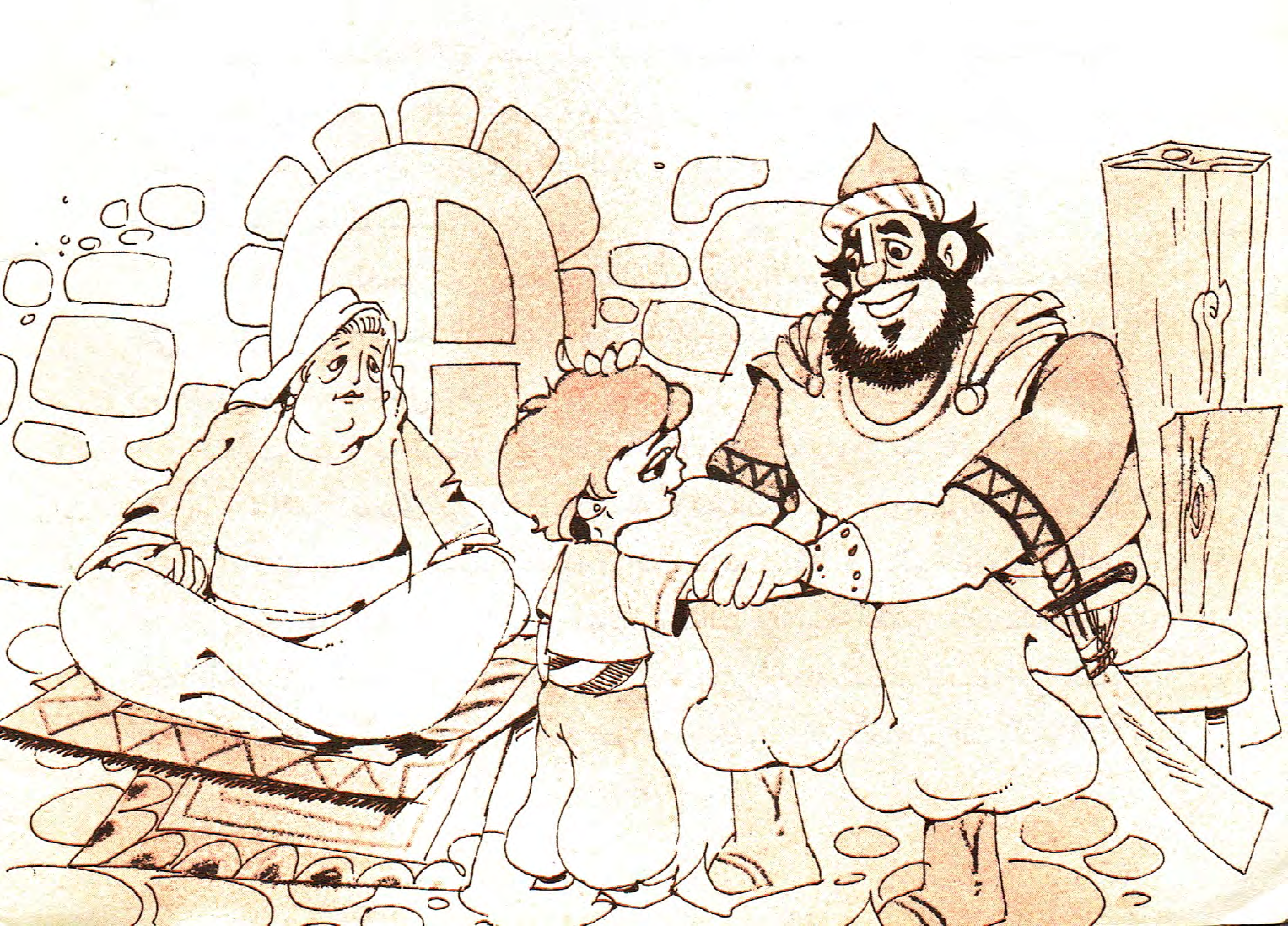
وكانت كثيراً ما تصحبه إلى قرب الغدير حيث يروق له اللهو والمرح ، وكثيراً ما شاهدته يحدق في الماء الجاري بإعجاب ، حتى أوشك ذات مرة أن يكرر مأساة شقيقه الأمير محمد عندما انزلقت قدمه وسقط في الماء ، ولولا لطف الله لغرق وجرفه التيار ولكن جذع شجرة ضارب في ماء الغدير حال بينه وبين التيار الجارف ، فتعلق به حتى أسرعت«ريحانة»إلى انقاذه ملقية بنفسها في الماء الدافق دون خوف أو وجل . . وبالرغم من الذعر الذي أصاب المسكينة كان

مظلوم ينظر إليها باسماً والماء يتساقط من ثيابه المبتلة . . وذاب خوف ريحانة وهلعها مع ضحكاته البريئة التي استقبل بها الأمر وكأنه لم يكن على وشك الموت . .

في هذه الأثناء كانت ريحانة معتكفة به في قصره الصغير لا تزور ولا تزار إلا من قبل قائد الجيش الذي كان أكثر المتأثرين من وضع الطفل البرىء ، وقرر بينه وبين نفسه أن يأخذ على عاتقه رعاية الطفل حتى يشب ويشتد عوده ، ثم يلقنه ضروب القتال والنزال والفروسية . .

وذات صباح فوجئت ريحانة بالقائد يحضر لزيارتهما كعادته ، فأسرع إليه مظلوم مرحباً كعادته فقد كان يحبه ويأنس إليه .

كان القائد يداعبه ويلاعبه وكأنه طفل صغير مثله ، ولكن هذا المرح لم يخف عن عين ريحانة الثاقبة حقيقة أمره . . إن الرجل حزين بالرغم من محاولته إخفاء حزنه .



سأل ريحانة فجأة :

ـ ريحانة . . منذ متى لم تذهبي إلى القصر . .

أجابته بأسى

ـ لقد حرَّمَ عليّ الذهاب إلى هناك ويرسل إلينا ما نحتاج إليه من مؤن مع ذلك العبد الأبكم . . ولكن لماذا هذا السؤال يا سيدي . .

أجابها بهدوء :

ـ ومع ذلك لم تجيبي على سؤالي . . متى ذهبت إلى هناك لآخر مرة . . ؟ ألم تصلك أي أخبار عما يدور هنـــاك . . ؟

أجابته ريحانة :

ـ ثلاث سنوات كاملة لم تكتحل عيناي برؤية جدرانه . . ولكن لماذا هذا التركيز على هذا السؤال يا سيدي . . لا شك أن وراء السؤال أمراً . .

أطرق القائد برهة ثم قال :

ـ لقد أخفيت عنك الأمر حتى لا أزيد من مصابك . . منذ أكثر من سنتين تم زواج الملك من ابنة الملك « نادر شاه » وأنجبت منه ولدين وبلغني أنهم يعدون العدة لإعلانهما وليين للعهد في المملكتين .

ظهر الأسى على وجه ريحانة وقالت بألم :

ـ رحمك الله رحمة واسعة يا مولاتي نورهان . . لقد حدثها قلبها بكل هذا وكأنها كانت تقرأ كتاباً مفتوحاً . .

أجابها القائد بحـزن :

ـ ليس هذا كل ما في الأمر . . إن ما يؤلم حقاً هو تنكر الملك لزوجته الراحلة ولذكراها ، فقد سمح للملكة الجديدة أن ترفع صورها من كل مكان حتى لم يعد لها في القصر صورة واحدة . . لقد سيطرت على الملك سيطرة تامة فلم يعد يعرف الرفض لأي مطلب تطلبه . .

قالت ريحانة بتوجس :

ـ كم بت أخشى على الأمير مظلوم من بـطشهــا . .

اتقدت عينا القائد الوفي وقال :



ـ لن يجرؤ كائن من كان على مس شعرة من رأس الأمير مظلوم وبي نفس يتردد . . اطمئني يا ريحانة وزيدي من رعايتك له وعنايتك به فإنه ملك المستقبل رغم أنف الجميع . .

قالت ريحانة :

ـ ما رأي سيدي القائد لو رحلت به إلى قصر والدته في الريف . . هناك سنكون آمنين ولن يزعجنا أحد . .

هز القائد رأسه رافضاً اقتراحها ، وقال بتوكيد وإصرار :

ـ لا يا ريحانة . . هنا مكانه وهذا وذاك وكل قصور الدولة ملكه . . لن يغادر الأمير هذا المكان إلا وهو فارس يُعمل له ألف حساب . . لقد أحطكما بحراسة مشددة فاطمئني . . ضربت حول القصر طوقاً من رجالي الأشداء فلن يصل إليكم عدو إلا على جثثهم . .

وعندما همَّ بالانصراف سارت ريحانة في وداعه حتى ركب جواده ولوح بيده مودعاً ليرد تحية الأمير الصغير . .



الحلقة القادمة

برهوم والأمير سفروت

تابع برهوم سرد قصة الملكة « نورهان » . وكانت القصة شائقة رائعة ، فأعجب بها الملك والملكة . ورأى الملك أن الهدايا لا تكفي مكافأة لبرهوم على حكاياته الجميلة ، فطلب منه أن يحكي له قصته هو .

فاغتنم برهوم الفرصة ليرسل مساعدات سخية إلى زوجه وعائلته مع الأمير « سفروت » . . وكانت المفاجأة ! ما هي هذه المفاجأة . وما هي أخبار عائلة « برهوم » ؟ هذا ما سنطلع عليه في الحلقة القادمة ، فإلى اللقاء .

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م
شارع فردان - بناية الصباح وصفي الدين تجاه سيار الدرك - الطابق الثالث
ص . ب ٦٣٤٧ - ١١ - بيروت - هاتف ٨١٠١٩٤ - برقياً : دانفايسكو